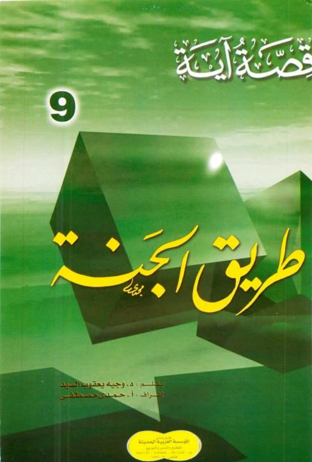

قصة آية
9
طريق الجنة
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى
طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

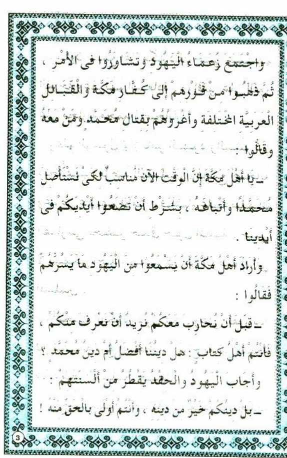
طريق الجنة

قالَ (تعالى) :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

[البقرة : ٢١٤]

نَظَرَ الْيَهُودُ إلى حالِ الْمُسْلمين بَعْدَ أَنْ هاجَرُوا إلى الْمدينة ، فَوَجَدُوهُمْ قُوَّةً لا يُسْتهانُ بِهَا ، ووَجَدُوا الإسْلامَ يَصِلُ إلى الْقُلُوبِ والْعُقُولِ في سُهُولةٍ ويُسْرٍ ، فامْتلأَتْ قُلُوبُهمْ حِقْداً وحَسَداً ، وقَرَّروا أَنْ يتخلَّصُوا من الْمُسْلمين بأيِّ وَسيلةٍ قَبْلَ أَنْ يستفحلَ خطَرُهُمْ .



واجتمع زعماء اليهود وتشاوروا فى الأمر ، ثمّ ذهبوا من فورهم إلى كفار مكة والقبائل العربية المختلفة وأغروهم بقتال محمد ومن معه وقالوا :

ـ يا أهل مكة إن الوقت الآن مناسب لكى نستأصل محمدًا وأتباعه ، بشرط أن تضعوا أيديكم فى أيدينا .

وأراد أهل مكة أن يسمعوا من اليهود ما يسرهم فقالوا :

ـ قبل أن نحارب معكم نريد أن نعرف منكم ، فأنتم أهل كتاب : هل ديننا أفضل أم دين محمد ؟

وأجاب اليهود والحقد يقطر من ألسنتهم :

ـ بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه !

ومَا إنْ سَمِعَ أهْلُ مَكَّةَ ذَلِكَ حَتَّى عَمَّتْهُمُ الْفَرْحَةُ وغَمرَتْهُمُ السَّعَادةُ ، ووَافَقُوا عَلَى الْفَورِ عَلَى مُحارَبَةِ مُحمَّدٍ وأصْحَابِه .

وعَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ بِأمْرِ الْيَهُودِ والْمَشْرِكِينَ وتَحالُفِهِمْ مَعًا ضِدَّ الْمُسلمِينَ ، فَجَمَعَ أصْحَابَهُ وعَرَضَ عَلَيْهِمُ الأمْرَ ، فَأشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ حَوْلَ المدِينَةِ ، حَتَّى لا يَتَمَكَّنَ أحَدُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْوُصُولِ إلى المسْلِمِينَ .

وأعْجَبَتِ الْفِكْرَةُ رَسُولَ ﷺ ، وعَلَى الْفَورِ بَدَأَ فِي تَنْفِيذِهَا مَعَ أصْحَابِه ، ورَاحَ يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ شَأْنُهُ شَأْنُ الْمُسلمِينَ جَمِيعًا .

ورَاحَ المسْلِمُونَ الصَّادِقُونَ يَعْمَلُونَ بِجِدِّيَّةٍ

مُتناهِيةٍ ويتفانَوْنَ فى العَمَلِ ، بَيْنما راحَ الْمُنافِقُونَ يُثَبِّطُونَ هِمَمَ الْمسلِمينَ ويَتَسلَّلُونَ واحدًا تلْوَ الآخَرِ ، حَتّى نَزَلَ الْقُرْآنُ الْكَريمُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُسجِّلَ هذِهِ المواقِفَ .

قالَ (تعالَى) :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ
عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ
أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

[النور : ٦٢، ٦٣]

وفى أثناء حفر الخندق حدثت معجزات خارقة ، تؤكد أن نصر الله قريب وأنه (تعالى) يقف بجانب رسوله والمسلمين ، فبينما كان الصحابة يحفرون ، إذ وجدوا صخرة غليظة وحاولوا تفتيتها بمختلف الطرق ففشلوا فى ذلك ، فلما رآهم الرسول ﷺ عاجزين عن تحطيمها أخذ المعول وضرب الصخرة عدة ضربات ، وفى كل مرة يضرب فيها الصخرة يرى الصحابة لمعانا يخرج من الصخرة كأنه برق فى السماء .

وتقدم سلمان الفارسى من الرسول ﷺ وقال :

ـ بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! ما هذا الذى رأيته يلمع تحت المعول وأنت تضرب ؟

فقال الرسول ﷺ :

ـ أو قَدْ رأَيْت ذَلِكَ يا سَلْمانُ ؟

قَالَ سَلْمانُ :

ـ نَعَمْ .

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ :

ـ أمَّا الأُولى فَإنَّ اللَّهَ فَتح عَلَيَّ بِهَا الْيَمَن ، وأَمَّا الثَّانيةُ فَإنَّ اللَّهَ فَتح عَلَيَّ بِهَا الشَّام والمغْرِبَ ، وأَمَّا الثَّالِثَةُ فَإنَّ اللَّهَ فَتح عَلَيَّ بِهَا المشْرِقَ .

وواصَلَ الصَّحَابَةُ الْحَفْرَ فِى الْخَنْدَقِ حَتَّى انْتَهَوْا مِنْهُ ، وجَاءَتْ قُرَيْشٌ بِعَشْرَةِ آلاف مُقَاتِلٍ مُجَهَّزِينَ وأَخَذُوا مَواقِعَهُمْ ، وخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ والمسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ نَاحِيَةَ جَبَلٍ بِالمدِينَةِ ، وكَانَ عَدَدُهُمْ ثَلاثَةَ آلافٍ .

ونَقَضَ الْيَهُودُ عَهْدَهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وقَالُوا :

ـ لا عَهْدَ بيننا وبين مُحمَّدٍ ولا عَقْدَ .

وعَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ بأَمْرِ الْيَهُودِ ونَقْضِهِمْ لِلْعَهْدِ مَعَهُ ، وتحالُفِهِمْ مَعَ الكُفَّارِ والمشْرِكينَ فَقَالَ فى بِشْرٍ بِرَغْمِ الظُّرُوفِ القَاسِيَةِ الَّتى يَمُرُّ بِهَا المسْلِمُونَ :

ـ أَبْشِرُوا يا مَعْشَرَ الْمُسْلِمينَ .

وانْتَهَزَ المنافِقُونَ الْفُرْصَةَ لِيُنَفِّسُوا عَنْ أَحْقادِهِمْ وكُرْهِهِمْ لِلرَّسُولِ ﷺ فَقَالُوا فى سُخْرِيَةٍ .

ـ كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْخُذَ كُنُوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ ، وإِنَّ أَحَدَنَا الْيَوْمَ لا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَذْهَبَ إِلى الْغَائِطِ لِكَىْ يَقْضِىَ حَاجَتَهُ .

وقَالُوا أَيْضًا :

ـ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ مِنَ الْعَدُوِّ ، ونَحْنُ عاجِزُونَ

عَنْ حِمَايَتِهَا .. فَمَا بَالُنَا نَتَصَدَّى لِكُلِّ هَذِهِ الْجُيُوشِ الَّتِى لا قِبَلَ لَنَا بِهَا ؟

وَنَظَرَ الْمُسْلِمُونَ فَوَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ مُحَاصَرِينَ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ ، وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ وَالْكَرْبُ بِهِمْ ، وَرَأَوْا عَدُوَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مِنْهُمْ ، حَتَّى مَلأَتْهُمُ الْهَوَاجِسُ وَظَنُّوا أَنَّ النِّهَايَةَ الْحَتْمِيَّةَ وَشِيكَةٌ لا مَحَالَةَ .

وَبَعَثَ الرَّسُولُ ﷺ لِكِبَارِ الصَّحَابَةِ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِكَىْ يَسْتَشِيرَهُمْ فِى أَمْرٍ مُهِمٍّ قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَ قَرَارًا ، فَاسْتَشَارَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ فِى أَنْ يُصَالِحَ قَبِيلَةَ غَطَفَانَ عَلَى ثُلُثِ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ كَىْ يَنْصَرِفُوا عَنْ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ :

ـ يا رَسُولَ اللَّه ، أهُو أمْرٌ تُحِبُّهُ فَنصْنَعُهُ ، أمْ شىءٌ أمَرَكَ به اللَّهُ ، أمْ شىءٌ تَصْنَعُهُ لَنا ؟

فقالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ :

ـ بَلْ شَىءٌ أصْنَعُهُ لَكُمْ كَىْ أكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ .

وحِينَئذٍ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذ :

ـ واللَّه ما لَنا بِهذَا مِنْ حَاجَة ، واللَّه لا نُعْطِيهِم إلا السَّيْفَ حتَّى يَحْكُمَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ ، فتَهلَّلَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّه ﷺ وقالَ :

ـ فَأنْتَ وذَاكَ .

وفى هذه الْغَزْوَة «غَزْوَة الأحْزَاب» لاقَى المسْلمُونَ الأهْوَالَ وتَعرَّضُوا للْكَثيرِ مِنَ المواقِفِ الصَّعْبَة ، بالإضَافَة إلى الجَوِّ النَّفْسىِّ

الَّذى لَعب فيه المنافقُون دورًا خطيرًا لا يقلُ عن دورِ اليهُود والمشْركين خُطُورَةً ، فقد كانُوا عامل تَثْبيط للمُسْلمين وسببًا فى إحْباط المسْلمين وإصابتهم باليأس .

ومن أصْعب الأُمُور الَّتى مرَّ بها المسْلمُون فى هذه الغزوة عدمُ تمكّنهم من إقامة الصَّلاة ، بسبب مُراقبتهمْ المستمرة وحذرهم الشَّديد من الأعْداء .

فقدْ جاء عُمر بنُ الخطَّاب بعْد ما غربت الشَّمسُ وأخذ يسبُّ الكُفَّار واليهود وقال للرَّسُول ﷺ :

- ما كدْتُ أُصلّى العصْر حتَّى كادت الشَّمْسُ تغْرُبُ !

فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ :

ـ واللَّه ما صَلَّيْتُها .

فَقامَ الرَّسُولُ ﷺ وَصَحابَتُهُ وَتَوَضَّئُوا ، فَصَلَّى الْعَصْرَ بَعْدَمَا غَرَبَت الشَّمْسُ ، ثُمَّ صَلَّى بَعْدَهَا الْمَغْرِبَ ، وكَانَ هذَا هُوَ أَصْعَبُ الأَشْيَاءِ الَّتِى مَرَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ ، لأَنَّهُمْ قَدْ يَصْبِرُونَ عَلَى الأَذَى والْجُوعِ والْحِصارِ ، لَكِنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى بُعْدِهِمْ عَنِ الصَّلاةِ .

وكَانَ الرَّسُولُ ﷺ لا يَفْتُرُ طَوالَ هَذِهِ الأَيَّامِ واللَّيالِى عَنِ الاسْتِغاثَةِ والتَّضَرُّعِ والدُّعاءِ للَّهِ (تَعالَى) لِكَىْ يَنْصُرَ الْمُسْلِمِينَ . فَكَانَ ﷺ يَقُولُ :

ـ اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ ، سَرِيعَ الْحِسابِ اهْزِمِ الأَحْزابَ ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وزَلْزِلْهُمْ .

ولمَّا طَالَ انْتِظَارُ المسْلمين للنَّصْرِ ، ونفد صَبْر بَعْضهم بسبَبِ مالاَقُوهُ من عَذَابٍ وحِصَارٍ ، أَخَذُوا يجأَرُون إلى اللَّه (تعالَى) بالدُّعاءِ ، ويَسْتَعْجِلُونَ النَّصْرَ ، وقَالُوا في تأَثُّرٍ :

- مَتَى نَصْرُ اللَّه ؟

وبَعْد أَنْ رأَى اللَّهُ ثَبَاتَهُمْ وصَلابَتَهُمْ في الْحَقِّ أَنْزل الْبُشْرَى علَى رَسُولِه وعلَى المسلمينَ ، فَنَزلَ قَوْلُه (تعَالَى) :

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾

[البقرة : ٢١٤]

وما هي إلا طَرْفَةُ عَيْنٍ حتَّى أَرسلَ اللَّهُ رِيحًا عاتيَةً علَى الْكُفَّارِ ، فأَطْفأَتْ نارَهُم واقْتلعتْ

خيامهم من جذورها ، حتى قام أبو سفيان وقال :

ـ يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلكت الخيل والإبل ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ، فما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فإني مرتحل .

وعلى الفور ولى المشركون الأدبار ، وعاد الرسول ﷺ وصحبه آمنين إلى المدينة بعد أن نصرهم الله على المشركين .

وقبل أن يضع الرسول ﷺ سلاحه جاءه جبريل بأمر من الله (تعالى) أن يتجه إلى بني قريظة لكي يحارب اليهود ، فاتجه الرسول ﷺ وصحابته إلى بني قريظة وحاربوهم ، ونصر الله المسلمين عليهم ،

وزُلْزلت الأَرْضُ من تحْت أَقْدامهمْ بسَبَب غدْرهمْ وخيانتهمْ ونقْضهمْ لعَهْدهمْ معَ رَسُول اللَّه ﷺ .

وخَرجَ المسْلمُونَ منْ هذه المعْركَة مُنتَصرين فى الدُّنْيـا والآخـرَة ، فَقَـد اخْتَبـرَ اللَّهُ إيمانهُمْ وعَلمَ المُخْلص منَ الْمُنافق .

واسْتَفادَ المسْلمُونَ منْ هذه المعْركَة أنَّ طَريق الْجنَّة مَحْفُوفٌ بالمكاره ، فلكَىْ يدْخُلَ المسْلمُ الْجنَّةَ ، عَليْه أنْ يبْذُلَ منْ ماله وجُهْده ووَقْته لكَىْ يَصلَ إلى غَايته كَمَا قَالَ ﷺ :

« ألا إنَّ سلْعَةَ اللَّه غاليَةٌ ، ألا إنَّ سلْعَةَ اللَّه هىَ الْجَنَّةُ »

كَمَا اسْتَفـادَ المسْلمُونَ دَرْسًا مُهمًّا ، وهُوَ أنَّ معَ الْعُسْر يُسْرًا ، فَقَدْ تَشْتدُّ الأزْمَةُ وتَسْتحْكمُ ويظُنُّ قَصيرُ النَّظَر أنَّها أزْمَةٌ بلا حَلٍّ ، ومَعَ ذَلكَ

فَإنَّ اللَّهَ (تَعالَى) يُنزِّلُ الْحلَ فى الْوقْتِ المناسبِ ، وهَذا ما حدَثَ مَعهُمْ ، فَقَدْ حاصرَهُم الْكُفَّارُ والْيهُودُ ومنعُوا عنْهُم الطَّعامَ حتَّى تَعجَّلَ المسْلمُونَ نصرَ اللَّهِ وظَنُّوا أنه اللَّهَ (تَعالَى) قَدْ تَخلَّى عَنْهُمْ ، لَكنَّ اللَّهَ (تَعالَى) أَتَى بالنَّصرِ فى الْوَقْتِ المناسِبِ ، بَعْدَ أَنِ ابْتلَى المؤْمنينَ وانْكشَفَ حَالُ المنافقينَ المُخادعينَ .

« أَلا إِنَّ نصرَ اللَّه قَريبٌ »

وكُلمَّا ضاقَتِ الأَزْمَةُ أَوْشكَتْ علَى الانفراجِ بإِذْنِ اللَّه ..

ضاقَتْ فلمَّا استَحكَمتْ حلقَاتُها

فُرِجتْ وكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرجُ

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧

الترقيم الدولى : ٧ ـ ٣٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧